الكميتَ ، إذ قال : « ومن غرائب الحُمْق المذهبُ الذي ذهب إليه الكُمَيْت ابن زيد في مديح النّبيِّ ﷺ ... الأبيات ، فَمَنْ رأى شاعراً مدح النّبيَّ ﷺ فاعْتَرَضَ عليه واحدٌ من جميع أصناف الناس ؛ حتى يَزْعُمَ هو أن أناساً يعيبونه ويثلبُونه ويُعَنِّفُونَه ؟»[١]

ولو أن شعر الكميت أخِذَ على ظاهره لكان نقدُ الجاحظ في موضعه ، فليس من المعقول أن يعيب مسلم شاعراً يمدح الرّسول أو يُعَنِّفَه ، غير أنَّ وراء أبيات الكميت سرا كشفه لنا الشّريف المُرتضَى في نصٍّ سنعرض له بعد قليل.

ولم يكتفِ الكميت في هاشِميّاته بمديح الرّسول ، بل نراه يقوم برثائه أيضاً، من ذلك بيتان في آخر بائيّته الأولى :

فَبُورِكَ قَبْرٌ أَنْتَ فيه وبُورِكَتْ ... به و لَهُ أَهْلٌ بذلكَ يَثْرِبُ

لقد غَيَّبُوا بِرا وحَزْماً ونائِلاً ... عَشِيَّةَ وارَاهُ الصَّفيحُ المُنَصَّبُ

وهو يعني بذلك قبرَ الرّسول ﷺ بيثربَ أي المدينة . وانتقد الجاحظ أيضاً هذا الرّثاء ، فقال : « إن هذا شعر يصلح في عامّة النّاس .»[٢]

أمّا دفاع الشّريف المُرْتَضَى عن الكُمَيْت فيقوم على أن الشّاعر لم يُرِدِ النّبيَّ حينما قال إن هناك من يُعَنِّفه على مدحه ، وإنما قصد مديحه لعلي بن أبي طالب ، فورّى عنه بذكر النّبيِّ خوفاً من بني أميّة .[٣] ونحن نعرف أن من مبادئ الشّيعة ، التّقِيَّةَ أي المُداراةَ حفاظاً على النّفس .

على أننا نرى أن الجاحظ مُحِقٌّ في نقده لبيتي الكميت في الرّثاء ، وذلك إذ قال إن وصف الرّسول بالبِرِّ والحَزْم والكرم من المَديح المُبْتَذل ، الذي قد

---

(١) البَيان والتّبيين ، ج ٢ ، ص ٢٣٩–٢٤٠ ، والحيوان ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ، والتعليق المذكور ورد في البيان ، وكرر الجاحظ هذا النقد بعبارة أخرى في الحيوان . واعتب : انصرف ، ثلبوا : عابوا ، العُيَّب : العائبون . لجّ : لازمه وأبى أن ينصرف عنه ، واللَّجَب : كثرة الأصوات والنقاش .

(٢) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) أمالي الشريف المُرْتَضَى ، ج ٢ ، ص ٨٠ .